الفصل الأول

العلم في اللغة والاصطلاح

في قواميس اللغة العربية والاصطلاح حديث مستفيض عن مسألة العلم ، من ذلك قول العلامة مجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) :

(عَلِمَهُ ، كسمعه ، علماً ، بالكسر .عَرَفَهُ ، وعلم هو في نفسه ، ورجل عالم وعليمٌ . ج : علماء وعُلاّمٌ ، كجهال ، وعلَّمه العلم تعليماً وعِلاَّماً ، ككذّابٍ ، وأعلمه إياه فتعلَّمه ، والعلاّمة ، مشدَّدةً وكشدّادٍ وزنَّارٍ ، والعلمة ، كزبرجةٍ ، والتِّعلامة : العالم جداً ، والنسَّابة ، وعالمه فعلمه ، كنصره : غلبه علماً ، وعلَّم به ، كسمع : شعر ، والأمر : أتقنه ، كتعلَّمه. . .)[1] .

وقال العلامة الراغب الأصفاني (ت : ٤٢٥هـ) :

العلم : إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان :

أحدهما : إدراك ذات الشيء ، **والثاني** : الحكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجود له ، أو نفي شيءٍ هو منفيٌّ عنه .

فالأول : هو المتعدِّي إلى مفعولٍ واحدٍ نحو : ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

---

(١) القاموس المحيط : ١/ ١٥٠١ ، ط ١/ ٩٧ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

والثاني : المتعدي إلى مفعولين : نحو قوله : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

وقوله : ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [المائدة : ١٠٩]

إشارة إلى أن عقولهم طاشت ، والعلم من وجهٍ ضربان : نظري وعملي .

فالنظري : ماإذا عُلم فقد كَملَ ، نحو : العلم بموجودات العالم .

والعملي : مالايتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات . . . .[1] .

وتحدث العلامة ابن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) عن أصناف العلوم فقال :

إن العلوم صنفان : صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه .

والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها ، وأنحاء براهينها ، ووجوب تعليمها ، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان أو فكر .

والثاني هي العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول[2] .

ويدقق العلامة يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت : ٤٦٣هـ)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن : ٥٨٠ـ٥٨١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٤٠٠ـ٤٠١ .

في حديثه عن العلم فيقول : . . . فحدُّ الضروري مالا يمكن للعالم أن يشكك فيه نفسه ، ولا يدخل فيه نفسه ، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة ، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر ، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل ، كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً ساكناً ، أو قائماً قاعداً ، أو مريضاً صحيحاً في حال واحدة .

ومن الضروري أيضاً وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس ، كذوق الشيء يعلم به المرارة والحلاوة ضرورة إذا سلمت الجارحة من آفة ، وكرؤية الشيء يعلم بها الأوان والأجسام ، وكذلك السمع يدرك به الأصوات . . . .

وأما العلم المكتسب ، فهو ماكان طريقه الاستدلال والنظر ومنه الخفي والجلي ، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى ، وما بعد عنها كان أخفى[1] .

* * *

(١) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله : ٢/ ٣٧ .